ان دخول « اليهود » كأفراد الى فلسطين لم يكن يثير اي تساؤل من جانب العرب قبل سفور الصهيونية عن وجهها العدواني ، الا فيما يتصل بالاجراءات العادية التي تتخذ قبل اي أجنبي يبغي الاستقرار في البلاد . وشيئا فشيئا ، بدأت تظهر وتنمو روح المقاومة العربية ضد الهجرة « الصهيونية » حين بدأت هذه الهجرة تتزايد وتتضخم ، وعندما حاول الصهاينة فرض سلطانهم على البلاد عن طريق الرشوة وتقديم المنح السخية الى من في يدهم مفتاح الباب الذي يدخلون منه للاستيلاء على فلسطين .

السبب الاساسي اذن للموقف العربي المعارض للصهيونية يتلخص في ان اهل البلاد لم يكن متوقعا منهم الاستجابة لايديولوجية وحركة تسعى الى حرمانهم من وطنهم ، فهبوا يرفضون اي محاولة تستهدف القضاء على الطابع العربي لبلادهم ، واعلنوا ذلك بوسائل مختلفة : من خلال قرارات المؤتمر السوري الاول ، ومن خلال قرارات الجمعيات المسيحية — الاسلامية التي تكونت في فلسطين نفسها ، او من خلال المذكرات العديدة التي رفعت لمؤتمر الصلح ، وللحاكم العسكري في فلسطين ، وغير ذلك .

وفي كل ذلك لم يتحدث العرب عن « القاء اليهود في البحر » ، بل وصفوا « اليهود » من ابناء وطنهم بأنهم : « اخواننا لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا » . وهو التعبير الذي شاع استعماله على ألسنة الفلسطينيين في تلك الفترة — أعقاب الحرب العالمية الاولى . وهذه نقطة يجدر التفصيل فيها بعض الشيء .

عندما علم العرب بـ « وعد بلفور » ، ثارت مخاوفهم من الاهداف الكامنة وراءه . وتحركت بريطانيا لتحافظ على ولاء « حليفها » الشريف حسين ، مؤكدة له ان الاستيطان اليهودي في فلسطين « لن يتعارض مع استقلال العرب في تلك البلاد » . وكان من مصلحة الشريف أن يصدق تطمين حليفته له ، معتبرا ان « اليهودية » كدين لا تمت الى الصهيونية السياسية بصلة[٦]. وبناء عليه ، كتب مقالة في جريدته الرسمية « القبلة » في ٢٣ اذار (مارس) ١٩١٨ ، ذكر فيه عرب فلسطين بأن « كتبهم المقدسة وتقاليدهم توصيهم بواجبات الضيافة والتسامح » وحضهم على الترحيب باليهود ، والتعاون معهم في سبيل المصلحة المشتركة[٧]. وهذا رأي لا يستطيع احد أن يلمس فيه اي شبهة لتعصب ديني او عرقي .

والموقف نفسه التزمه الامير فيصل (الملك فيما بعد) حين اذاع في الخامس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ بلاغه الى اهالي سورية المحترمين ، الذي اعلن فيه انشاء ادارة عرفية على «سورية». وقد جاء في هذا البلاغ ان الحكومة التي تكونت : « تنظر الى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم واديانهم نظرا واحدا ، لا تفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوي»، وكلمة الموسوي في لغة ذلك العهد معناها « اليهودي »[٨].

وكل الوثائق التي صدرت عن عرب فلسطين في تلك الفترة تفصح عن موقف لا يعرف التعصب ولا يقبل به ، بل ينبذه ويرفضه . ومن هذه الوثائق يمكن ان نذكر ما يلي :

● **احتجاج الفلسطينيين المنفيين الى هيئة السلم العام ووزارة الخارجية البريطانية على الصهيونية والحالة في فلسطين بتاريخ ١٢ — ١٢ — ١٩١٨ جاء فيه ما يلي :[٩]:**

« ان اليهود في فلسطين لا يتجاوز عددهم ثمن عدد العرب الاهلين ، وليس لهم في الاراضي اكثر من ثلاثة في المائة . أفيجيز العدل هضم حقوق الاكثرية المطلقة ؟. أما اخواننا اليهود ، سكان الوطن الاهليون، فهم اخواننا في السراء والضراء، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، نعيش واياهم في ارغد عيش ، نتمتع كلنا بالحرية الشخصية ... نرفع شكوانا الى الحلفاء العادلين ، ونحتج على الصهيونية التي تثير التعصب الديني في القرن العشرين والاثرة والانانية والطمع الخبيث الذي جر على الانسانية بلاء هذه الحرب ، اي الحرب العالمية الاولى . هذه الكلمات تقول شيئا هاما في القضية التي نحن بصددها ، تقول ان من أسباب رفض العرب للصهيونية كونها « تثير التعصب الديني في القرن العشرين » وأنها بذلك ستكون خميرة لتوليد « تعصب مضاد » نحن لا نريده ولا نبتغيه ، وليس من المصلحة اثارته ، والصهيونية حين تفعل ذلك ستكون خميرة الفوضى والاضطراب في هذه المنطقة من العالم . وقد تحقق ذلك فعلا .

● **قرار الجمعية الاسلامية — المسيحية في القدس الى الحاكم العسكري ، بتاريخ ٢٤ اذار (مارس) ١٩١٩ [١٠]:** حدد هذا القرار ستة